سلسلة النقد الأدبي التطبيقي

محمّد علي أبو حمدة

M.LITT.

في النقد الأدبي من جامعة أكسفورد بالمملكة المتّحدة
عضو هيئة تدريس بالجامعة الأردنية بعمّان

في التذوّق الجمالي

لِمَا اشتمل على ذِكرِ "العَرَبِيَّة واللِّسانِ العربي" مِن آيِ القرآنِ الكريم

"إستشفاف حقيقة "النظريّة" التي تُفسِّر وضع اللغة العربيّة - ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا"

(دراسة نقديّة إبداعيّة)

دار الجيل
بيروت

مكتبة المحتسب
عمان

التذوق الجمالي

سلسلة النقد الأدبي التطبيقي
13

محمّد علي أبو حمدة

M.LITT.
في النقد الأدبي من جامعة أكسفورد بالمملكة المتّحدة
عضو هيئة تدريس بالجامعة الأردنية بعمّان

في التذوّق الجمالي

لِما اشتمل على ذِكر ”العربيّة واللسانِ العربي“ مِن آيِ القرآنِ الكريم

”إستشفاف حقيقة ”النظريّة“ التي تُفسّر
وضعَ اللغةِ العربيّة - ماضيًا وحاضرًا ومُستقبلًا“

(دراسة نقديّة إبداعيّة)

دار الجيل
بيروت

مكتبة المحتسب
عمّان

جميع الحقوق محفوظة

١٤٠٥ - ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد :

فتلبية لدواعي التذوق « المستمر » التي يُحِسّ بها المرءُ المسلم إزاء النصوص الرائعة في اللغة العربية وبخاصة نصوص القرآن الكريم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإنّ إحساساً من نوع مُعَيّن ظلّ يُلِحّ عَلَيّ ويبحث عن حَلّ من لدن يَفَعْتُ غُلاماً إلى ما كان من « تَقَلّبٍ » في الجامعات الغربية (الأمريكية ببيروت وجامعة أكسفورد بالمملكة المتحدة) . وهذا الإحساس هو : هل كانت العربية لُغَة أهل الجَنّة قبل هبوط آدم عليه السّلام إلى الأرض ؟ وهل هي لغة ملكوت السموات والأرض ولغة أهل الجَنّة في الحياة « الحيوان » ؟ وهو إحساس — فيما أرى — قد كان يُلِحّ على صحابته صلّى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ، وأنّه صلّى الله عليه وسلم الذي قد أُري مقعده من الجنان واقترب إلى مكان سدرة المنتهى (١) قد نَبّأ (بفتح النون وتضعيف الباء وفتحها) به . ولكن يبدو أنّ « المُسَارّة » (بضم

---

(١) قال تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى ❋ ما كذب الفؤاد ما رأى ❋ افتمارونه على ما يرى ❋ ولقد رآه نزلة اخرى ❋ عند سدرة المنتهى ❋ عندها جنة المأوى ❋ اذ يغشى السدرة ما يغشى ❋ ما زاغ البصر وما طغى ❋ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ❋) سورة النجم : ١٠–١٨ .

الميم وفتح السين وتضعيف الراء وفتحها) به قد جرت على « عِلْمٍ » كي يتذوق النّاسُ حلاوةَ الحُكْم على النتائج والغايات في مسارها الطبيعي في دار المحنة والابتلاء ، وعبر قرائن الزّمان والأحوال . فإنْ كان ما حُدّثناه (بصيغة المجهول) عن أبي ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنه أنّه كان يتحدّث في المجالس : من قال : لا إله إلاّ الله — دخل الجَنّة ، وأنّه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عُمَرُ رضي الله عنه عن التحدّث بهذا خيفة أن « يتواكل » النّاس — قد كان صحيحاً ؛ فإنّه بالقياس يصحّ أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف لهم مُخَبّآت هذا الأمر وما اتّصل به من تدبير إلهي ولكن أُخفيَ عن النّاس خيفةَ أن « يتواكلوا » . ولَعَلّ هذا وحده يُفَسِّرُ أنّ جواباً بالنفي أو بـ « ما المسؤول عنها بأعلمَ مِنَ السّائل » — كما في حديث « الإحسان » (١) — عن سُؤالٍ كهذا لم يَرِد في التراث الحديثي المِعْطار كُلِّه رغم ما كانَهُ الصّحابة رضوان الله عليهم يسألونه في شَتّى مجالات الحياة حتى كانت النساء الصّحابيات رضي الله عنهن يسألنه عن الطّهارة من دم الحيض حتّى كانت تضجّ عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها تقول : « قالت امرأة من الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف أغتسل من المحيض ؟ قال : خذي فِرْصةً مُمسّكة ، فتوضئي (٢) ثلاثاً) ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا ، فأعرض بوجهه، فأخذتها فجذبتها ، فأخبرتها بما يريد النبي

---

(١) انظر : ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، ط ١ ، ضبطه د. مصطفى اديب البُغا (دار القلم ، بيروت : ١٩٨١ م) ج١ ص ص ٢٧ — ٢٨ .

صلى الله عليه وسلم »(١) فإن يكن جواباً بالنفي لم يَرِدْ ؛ فذلك للحليم (المسلم) « البُشْرى » أنّ ذلك هو عين اليقين .

وإذا كان الله تعالى قد رتّب البدايات من خلال النهايات ، حتّى لقد كانت النّاقةُ تمشي في أحياء المدينة المنوّرة « مأمورةً »(٢) ، وإذا كان الله تعالى قد رتّب أمور الرّسالاتِ السماوية وأُمور الحضارات البشريّة وأمور اللغات والألسنة على نحوٍ تكون فيه اللغةُ العربية لُغة القرآن الكريم بنصّ القرآن الكريم أحد عَشَر موضعاً بلفظة « عربي » علاوة على نَصّ القرآن الكريم عَدد مواضع بلفظة « لسانِك » علاوة على قرائن الأحوال ودلالات الألفاظ والتراكيب . وإذا كان اللهُ تعالى قد رتّب أمور الرّسالات السماوية وأُمور الحضارات البشرية وأُمور اللغات والألسنة على نحو يكونُ به الدّين الإسلامي دِينَ الحَقّ وعلى نحو يكون معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابتُه رضوان الله عليهم قد كانت الرّسالات السماويةُ « مأمورةً » أنْ تتحدّث عن مَقْدِمِهم ، وأن تحمل البشائرَ بذلك كمثل ما تبسطه الآيتان الكريمتان من سورة الفتح :

﴿هُو الذي أرسل رسولَه بالهُدى ودين الحَقّ ليظهره على الدّين كُلّه وكفى بالله شهيداً * مُحَمّدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشِدّاء على

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وزميليه (دار الكنوز الادبية ، بيروت ، مصور بالاوفسست) ص ص ٤٩٤-٤٩٥ .

الكُفّار رُحَمَاءُ بينهم ، تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثَرِ السّجود ، ذلك مَثَلُهم في التوراة، ومَثَلُهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شَطْئَه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه ؛ يُعجب الزُّرّاع ليغيظَ بهم الكُفّارَ . وَعَد اللهُ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً﴾ الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

– أفليسَ ذلك في الإغراءِ الكبير أنَّ اللغةَ العربيةَ هي الأخرى أيضاً كان قد رُتّبَ (بصيغة المجهول) لها في سابق الأوان وماضي الزّمان كي تكون « زَرْعاً أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سُوقه يُعجبُ الزّرّاعَ ليغيظَ بهم الكفار » ؟

بلى وَرَبّي إنّه لكذلك .

ولمّا كان المَرءُ المسلمُ مأموراً أنْ يتدبّر القرآنَ الكريمَ قال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ سورة محمد : ٢٤ ؛ ولمّا كانت أنساقُ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ وقرائنُ البيانِ فيها ، ولمّا كان الزّمانُ وقد أمدّنا بأبعادٍ حضاريّةٍ وتاريخيّةٍ ومَعْرفيةٍ جديدةٍ – كمثل ما اقتربنا به من حقيقة الإسراء والمعراج في حياته صلى الله عليه وسلم بعد هذا السّيل العَرِم من مَرْكبات غزو الفضاء ومحطّات الأقمار الصّناعية وتقريب المسافات والأبعاد – كلّها « تَفْهَقُ » بحقيقة أنّها – أعني اللغةَ العربيةَ – « مأمورةٌ » ؛ فإنّني مِنْ هاهنا أُصَرّح بالحروف الأولى لنظرية متكاملة تُفَسّر حقيقة وضعِ اللغة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً – تاركاً للدوائر العلمية الإسلامية

والآلاف المؤلّفة من جُنْدِ الحضارة الإسلاميةِ الذين لن « يفتأوا » يُنَقِّبون (بضم الياء وفتح النون وتضعيف القاف وكسرها) ويمحِّصون ويُقارنون حتّى تتعاظَم الشواهدُ ، وتتوكّد البيّناتُ ، ويُعاد كتابةُ الحضارةِ « العربية » قبل الإسلام بطريقة تُفسِّر كُلَّ الظواهر الثقافية المُلغزة (بضم الميم) ، وتَحُلُّ مغاليق الإشكالاتِ التّاريخيةِ التي تَنوءُ بحَلّها العُصْبَةُ من عُلماء الآثار الموضوعيين ، وتكسرُ — لأوّلِ مَرّة وإلى الأبد — الطوْقَ الذي فرضته الدراساتُ المُتّصلةُ بالتوراة « العزرية » على « الثقافة العربية » من لدن آدم عليه السّلام وحتّى فجر الدعوة الإسلامية . لقد كانت العرَبيةُ لغةَ آدم عليه السّلام حين هبط من الجَنّة إلى الأرض وظلّت أُصولُ بذرتها تُخرج شَطْئها وتنمو وتستغلظ وتستوي على ساقها حتّى كانت « مَعْبَرَ » الرّسالة الإسلامية. ثم اللهُ تكفّل بحفظها حتّى تَعُودَ إلى الجنّة غانمةً وافرةً وهاكم البيان :

قال تعالى :

﴿ إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ سورة يوسف : ٢ .
﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ سورة الرّعد : ٣٧ .
﴿ وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ سورة طه : ١١٣ .
﴿ قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ الزمر : ٢٨ .
﴿ كتاب فُصّلت آياتُه قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ فُصّلت : ٣ .
﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ﴾ الشورى : ٧ .
﴿ إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ الزخرف : ٣ .

﴿ وهـــذا كتاب مُصَدِّق لسانــاً عربياً لينذر الذين ظلموا ﴾ الأحقاف : ١٢ .

﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين ﴾ النمل : ١٠٣ .

﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذِرين . بلسان عربي مبين ﴾ الشعراء : ١٩٥ .

﴿ أ أعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ فصلت : ٤٤
وقال تعالى :

﴿ وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم ﴾ إبراهيم : ٤ .

﴿ فإنما يَسّرناه بلسانك لتبشر به المتّقين وتنذر به قوماً لُدّاً ﴾ مريم : ٩٧ .

﴿ فإنما يَسّرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ الدخان : ٥٨ .

﴿ لا تحرِّك به لِسانك لِتَعْجَلَ به * إنّ علينا جَمْعَه وقرآنَه * فإذا قرأناه فاتّبِـعْ قُرْآنه * ثم إنّ علينا بيانَه * ﴾ سورة القيامة : ١٦ — ١٩ .

التذوق الجمالي

نعود بالآيات القرآنية الكريمة إلى حيث موقعها في سياقها . قال تعالى : ﴿ آلر ، تلك آياتُ الكتابِ المبين * إنّا أنزلناه قُرآناً عربياً لعلكم تعقلون * نحن نَقُصُّ عليكَ أحسنَ القصص بما أوحينا إليكَ هذا القُرآن وإنْ كُنْتَ من قَبْلِه لمن الغافلين *﴾ سورة يوسف : ١ — ٣ وهذه الآيات مدنية في سورة كلها مكية عدا آية ٧ فهي مع الآيات المتقدمات مدنية .

نلاحظ فيما نلاحظ أنّ السّورة الكريمة تَصدّرتها حروف عربية مُقطّعة هي حروف الهجاء العربي . ثم نسق على هذه الحروف إشارةٌ إلى آيات الكتاب المبين . والكتاب وإن كان هو القرآن ، إلاّ أنّ الدّلالة الهامشية للفظة « الكتاب » توحي أنّه الآياتُ المكتوبة كِتابةً . وقوله تعالى : « المُبين » توحي أنّ هذه الآيات قد استكمَلَتْ مزايا

الوضوح النـّصّي والتأويلي والترتيلي والترقيمي والبياني والمصطلحات . وقوله تعالى « المُبين » بصيغة اسم الفاعل تـَخـَيـَّرُ فيه الدّلالة على قـُوَّة الوضوح وعلى استمراريته أيضاً . فلو كان البيانُ « مـَرْحـَلياً » لكان في صيغة توائم انتهاء « المرحلة » .

ثُـمَّ بعد ذلك نُسـِقَ قوله تعالى ﴿إنـّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ . والإنزال فيه التباين المكاني . وإذن فهناك كتاب مكتوب مُبين أنزل عنه قرآنٌ عربي . والقرآن مصدر القراءة ودلالته الهامشية توحي أنَّ الآيات تُقرأ (بصيغة المجهول) قراءة وتتلى تلاوة . يـُزكـّي (بتضعيف الكاف وكسرها) ذلك قوله تعالى ﴿لا تـُحرّك به لِسانَك لتعجل به * إنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنه * فإذا قرأناه فاتـّبِعْ قـُرْآنَه * ثم إنَّ علينا بيانه *﴾ سورة القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

يقول ابن عبّاس رضي الله عنهما في تفسير الآيات :

« (لا تُحـَرِّكْ به) بقراءة القرآن يا محمد (لسانك لتعجل به) بقراءة القرآن قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بشيءٍ من القرآن لم يفرغ جبريل من آخره حتى يتكلّم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة أن ينساه فنهاه الله عن ذلك . . . »⁽¹⁾ . ويقول البيضاوي : « إنَّ علينا جمعه

---

(١) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ) . ص ٤٩٤ .

في صدرك وإثبات قراءته في لسانك »⁽¹⁾ .

وبذلك يكون في الآيتين الكريمتين (مُبتدأ سورة يوسف عليه السّلام) دلالتان : تذهب إحداهما إلى توكيد القرآن مكتوباً ، وتذهب الأخرى إلى توكيد القرآن مقروءاً . وفي الحالين ، فإنّ حروف الهجاء العربي . هي المقدمة الأولى لهاتين الدلالتين . ثم يأتي قوله تعالى « لعلكم تعقلون » . وإذا كان هذا ثمّة في المدينة المنورة والمدينة كان فيها من صحابته صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ؛ فمعنى ذلك أنّ اختيارَ العربية قد كان التقريبَ إلى العقُول جميعاً – ما كان من أصول عربية وما كان من أصول أعجمية .

ثم يربط ربّ العالمين بين أحسن القصص وبين الوحي بالقرآن . وأحسن القصص لا يَدُلُّ على نوعية القَصص ذاتها بقَدْرِ ما يَدُلّ على تجلية هذه النوعية في معارض من الحُسْن هي الفائقة حُسْناً . ولعلّ ذلك إشارة إلهية إلى أنّ تجلية هذه النوعية من القصص في القرآن الكريم وفي اللسان العربي المبين قد فاقت كُلّ ما أنزله الله تعالى في هذا الشأن في التوراة « الأصلية » والكتب السماوية . أي أنّ الأصل الفائق الحُسن هو القرآن الكريم باللسان العربي المبين وما كان من أخبار عن هذه القصص في الكتب السماوية الأخرى فإنما قد جاء على طريقة هي الدون في الحسن والتجلية وجمال الترقب والتفصيل . ولو كانت التوراةُ الأصلية بين أيدينا لربما جزمنا بذلك وقطعنا . أمّا القَصص في التوراة هذه التي تواطأ عليها القوم وفاض النقد الإسلامي والنقد الأوروبي

---

(١) ناصر الدين أبو سعيد عبدالله البيضاوي : انوار التنزيل وأسرار التأويل دار الجيل : بيروت (مصور عن نسخة المطبعة العثمانية) ص ٧٧٢ .

بكشف اختلاقها (١) حول سيدنا يوسف عليه السّلام فلا تكاد تكون في شيءٍ من أمارات الفن وجمال السّياق . وهو أمر سبق إلى التنويه به المفكّر المُسلم مالِكُ بن نبي في كتابه « الظاهرة القرآنية » . وقوله تعالى ﴿ وإنْ كُنْتَ من قَبْلِه لمن الغافلين ﴾ تهييج لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ليكون ثمّةَ جمالُ الترقب والمتابعة . والغفلة تكون عن أمر قد كان واضحاً وقد كان قائماً ماثلاً . فهل يعني ذلك أنّ حروف الهجاء العربي والكتاب المبين والقرآنَ عربياً وأحسنَ القَصص قد كانت قائمة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد كان محجوباً ببعدي الزّمان والمكان ؟ ليس ثمّة غير ذلك يكونُ الجوابُ .

ولو أننا ذهبنا إلى سورة الإسراء نترسّم دلالة قوله تعالى « أنزلناه » لرأينا السّياق التالي :

﴿ وبالحَقّ أنزلناه وبالحَقّ نزل . وما أرسلناك إلاّ مُبشّراً ونذيرا * وقرآناً فَرَقْناه لِتقرأه على النّاس على مُكْثٍ ونزّلناه تنزيلاً * قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، إنّ الذين أُوتوا العلم مِنْ قَبْله إذا يُتلى عليهم يَخِرّون للأذقان سُجّداً * ويقولون سُبحان رَبّنا إنْ كان وَعْدُ رَبّنا لمفعولا * ويَخِرُّونَ للأذقان يبكون ويزيدُهُمْ خُشوعا * ﴾ الإسراء : ١٠٥ – ١٠٩ (مكيّة) . ثم بعد ذلك يأتي قولُه تعالى ﴿قُل

---

(١) انظر كتابنا : الفكر الاسلامي وطرائق النقد الادبي . ط ٢ (دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان : ١٩٨٣ م) الباب الثاني وما بعده .
وانظر في نقدها : أبو محمد علي بن حزم الاندلسي : الفصل في الملل والاهواء والنحل (تصوير مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ) ج ١ ، ص ١١٦ ، ج ٢ ص ٧ .
وانظر كتاب : جمهرة أنساب العرب (دار المعارف بمصر : ١٩٦٢م) ص ٨ .

ادْعوا الله أوِ ادعوا الرحمن، أيّـاً مَّا تَدْعُـوا فله الأسماءُ الحُسنى ؛ ولا تَجْهَـرَ بصلاتِكَ ولا تُخافتْ بها وابتغِ بين ذلك سبيلا ﴾الإسراء: ١١٠ .

قوله تعالى (أنزلناه) وتقديم الحَقّ على النّزول ونزل — وهو ما يسمى بقبول مطاوعة الفعل ؛ وقوله تعالى (ونزّلناه) و (تنزيلا) ؛ كُلُّ هذه الصّيغ المختلفة لذات الدّلالة تُشير إلى أنَّ « حَجْم » الاهتمام بهذا القرآن الكريم باللسان العربي المبين قد كان كبيراً كبيراً . وليس ثمّة من يفهم هذا « الحجم » إلاّ مَنْ كان شاهدَه . فهل هم الملائكةُ والأنبياءُ ومن أوتوا العِلْم من قبلهِ (القرآن الكريم) ؟ ثمَّ الإشارة إلى القرآن الذي فُرِق (بصيغة المجهول) ليُقرأ (بصيغة المجهول) على النّاس (وليس العرب وحدَهم) على مُكْث : دلالةٌ واضحة على أنَّ القرآن « مجموعاً » كان قد رُتّب (بصيغة المجهول) له قبل أن يُفْرق (بصيغة المجهول) . وهذا يُفضي إلى النتيجة الحتمية أنَّ النّسْخَ في قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية أوْ نُنسها نأتِ بخير منها أو مثلِها . . . ﴾البقرة : ١٠٦ قد أُريدَ له مُراعاةُ ظَرْف ﴿ فرقناه لتقرأه على النّاس على مُكث﴾ لأنَّ الله تعالى كان ينظر إلى البداياتِ من خلال النهايات . وهذا أمر بالغ الأهمية حين نتعامل مع سِرّ « توظيف » اللغة العربية لتكون لغة القرآن الكريم . ولذلك كان قولُه تعالى بعد أن انتهت « مرحليةُ » التوجّه في الصّلاة إلى بيت المقدس ﴿سيقولُ السّفهاءُ من النّاسِ ما ولاّهم عن قِبْلَتهم التي كانوا عليها ، قُلْ لله المشرِقُ والمَغْرِبُ ؛ يَهدي من يشاء إلى صِراط مستقيم * وكذلك جعلناكم أمّةً وَسَطاً لتكونوا شهداءَ على النّاس ويكونَ

الرَّسولُ عليكم شهيداً ، وما جعلنا القِبلَةَ التي كُنت عليها إلاّ لِنعْلَمَ مَنْ يتّبِعُ الرَّسُولَ ممّن ينقلبُ على عقبيه، وإنْ كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى الله ، وما كان الله ليُضيع إيمانكُم ، إنّ الله بالنّاسِ لرؤوف رحيم * قد نرى تقلُّب وجهك في السّماء ، فلَنُولّينّك قِبْلَةً ترضاها ، فولِّ وجْهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كُنْتم فولُّوا وجوهكم شَطْره، وإنّ الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحقّ من ربِّهم ، وما الله بغافل عمّا يعملون * ﴾سورة البقرة : ١٤٣ — ١٤٤ . وإذن فالله تعالى الذي له المشرق والمغرب أو الذي يَحُدّ الزَّمان والمكان ولا يَحُدّانه ينظر إلى هذه الإجراءات نظرة « مرحلية » . وإذا كان بعضُ النّاسِ قد ارتبطت مفاهيمهمُ للعبادة بطقوس مُعينة على نَسَقٍ مخصوص ؛ فإنّ الله تعالى يُرتّب (بضم الياء وفتح الراء وتضعيف التاء وكسرها وضم الباء) المقدّمات وُصولاً إلى الغاياتِ على نَحْوٍ يُؤتي الثّمار المَرْجُوّة — وقد كان . ولقد ثَبَّتَ الذين هدى اللهُ وتُخلّص (بصيغة المجهول) من ضعاف الإيمان متشككة القلوب ؛ وانتصرت رايةُ الإسلام . وقوله تعالى (فَرقْناه) بمعنى فَصّلناه وأحكمناه . وهو التفسير قال به الفرّاء ، ونقله ابن حيان في البحر المحيط (١) . وقولُه تعالى ﴿فيها يُفرق كل أمر حكيم﴾ الدخان : ٤ هو الذي كان ناظِر الفرّاء في الذهاب إلى هذا المعنى (٢) . وقوله تعالى (على مُكْثٍ) : على ترسُّل في التلاوة ،

---

(١) أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي : البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة، الرياض، بدون تاريخ) ج ٦ ص ٨٧.

(٢) المصدر ذاته والصفحة ذاتها .

وقيل على تطاول في المُدَّة شيئاً بعد شيء . وهو التفسير قاله ابن عبّاس ومجاهد وابن جُريج ونقله ابن حيان (١) .

وقوله تعالى﴿ ... إنَّ الذين أُوتوا العِلم مِن قَبْله إذا يُتلى عليهم يَخِرّون للأذقان سُجّدا * ويقولون سبحان ربّنا إنْ كان وعْدُ ربِّنا لمفعولا * ويخرّون للأذقان يَبْكُون ويزيدُهم خُشوعاً﴾ يُبَيّن بوضوح أنَّ جُمهور المؤمنين من النبيين وممن هدى اللهُ واجتبى كانوا على بَيّنَةٍ من أمْرِ القرآن الكريم من قَبْل أن يُقضى (بصيغة المجهول) وحْيُهُ . ومن ثَمَّ فإنهم حين يُتلى عليهم (مستقبلاً) (وإذا هي أداة شرط لما يُستقبل من الزّمان) فإنهم يخِرّون للأذقانِ سُجّداً ويقولون : سبحان ربّنا إنْ كان وَعْدُ رَبّنا لمفعولا . إنَّ لفظة « وعد » في هذا السّياق هي التي كانت أذكت لدى هؤلاء الأطهار طُولَ الترقّب وشوق الانتظار إلى لقاء القرآن الكريم . فحين يُتلى عليهم يكون هذا شأنهم . وقوله تعالى﴿ إذا يُتلى عليهم ﴾ دلالةٌ فائقة على أنّهم قد كانوا غُرَباء اللسان عن لسان قريش أو قُلْ إنَّ لُغاتِهم « الأمَّ » لم تكن العربيةَ . وإذن فهُمُ الآنَ في طَوْرِ الإصغاء قَبْلَ أن يتعلموا اللغة . ولئن ذهب المفسرون الأفاضل في تفصيلات كثيرة حول حقيقة هؤلاء الذين أوتوا العِلْم من قبله (٢) ؛ إلاّ أنَّ كاتب هذا التذوق يرى أنَّ الآية الكريمة يُلقي عليها الضوءَ آيةٌ كريمةٌ أخرى في سياق آخر . قال تعالى ﴿أُولئك الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين من

---

(١) المصدر ذاته جـ ٦ ص ص ٨٧ ــ ٨٨ .
(٢) البحر المحيط جـ ٦ ص ص ٨٨ ــ ٨٩ .

ذُرِيّة آدم وممَّن حملنا مع نُوح ومن ذُرِيّة إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آياتُ الرَّحمن خرّوا سُجّداً وبُكيّا﴾ سورة مريم : ٥٨ . وثمّة واضح أنَّ هؤلاء (إذا يُتلى عليهم القرآن) وأنَّ هؤلاء يخرّون سُجّداً وبُكيّا ، وأنَّ هؤلاء يَدْعون الله تعالى باسم الرحمن ربما يجعل الآياتِ في الموضعين في موازاةٍ تامّةٍ يعرف حلاوتَها مَنْ واقعها وعاش جَمالَ البيان القرآني فيها . وهذا التفسير يُلقي جَمالاً أخّاذاً على موقع قوله تعالى ﴿قُلْ آمنوا به أولا تؤمنوا﴾ من السّياق والتي كانت موضع إشكال لدى بعض المفسرين⁽¹⁾ ؛ إذ يصبحُ المعنى في وضوح كأنّه ضاحية النّهار . وإذا كان هؤلاء «الأعاجم» على غير اللسان العربي المبين قد كانت لهم هذه المواقف من القرآن الكريم وهذا الشوق لسماعه ؛ أفليس من قبيل المفارقة الصّارخة أن يكون من هؤلاء إيمان وتسليم بالحقّ في الوقت الذي فيه أهل اللسان العربي المبين بل وأهل الرّسول محمد صلى الله عليه وسلم من عمومته وأبناء عمومته وعشيرته يكفرون به عند تلاوته عليهم — وهم أهل تذوق لغوي وبياني رائع ؟ !⁽²⁾ .

وهناك قرينة رائعة رائعة في سياق الآية الكريمة.إذ ما معنى أن يكون الإجمال حول القرآن الكريم وتلاوته عليهم (مَنْ أُوتوا العِلْمَ مِن قَبْله) قد شمل ﴿الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين من ذُرِيّة آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا﴾

---

(١) المصدر ذاته .
(٢) قال تعالى في حقهم (وتنذر به قوما لدّا) مريم : ٩٧ .
وقال تعالى (ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) الزخرف : ٥٨ .

– دون تخصيص لآدم عليه السّلام في هذا السّياق ؟ ألأنّ آدمَ عليه السّلام قد كانت لُغتَه «الأمّ» اللغةُ (بالرفع) العربيةُ ، ومن ثمّ فهو يَتْلُوه بنفسه ولا يُتلى عليه⁽¹⁾ ؟ إنّ هذا وَحْدَه هو التّفسير .

وهناك ثمّة قرينة رائعة في سياق الآيات من سورة الإسراء تجعل أمرَ التصديق بوعد الله تعالى ﴿إنْ كان وَعْدُ رَبّنا لمفعولا﴾ إنما يكون الجَنّةَ مكانُه (بفتح الجنّة ورفع المكان) . وإذا كان ذلك ، فإن دَلالة السّياق تَحتّم أن تكون تلاوةُ القرآن الكريم في الجنّة وباللسان العربي المبين هي التي تذكي تُحقّق الوَعْدِ وإنجازِه . وهو أمْرٌ نرى توكيده من الدلالة الهامشية لقوله تعالى في سياق آخر ﴿... جَنّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدَ الرحمن عبادَه بالغيب . إنّه كان وَعْدُه مأتِيّاً﴾ سورة مريم : ٦١ .

وها هي الجنّاتُ والوَعْدُ والرحمن والعباد والغيب وهي مرادفة للبعد الزماني (من قبله) وقوله تعالى (مفعولاً) وقولُه تعالى (مأتِيّاً) تلتقي كُلّها على ذات الصّعيد من المناخ العام بما يجعل أمْرَ تلاوة القرآن

---

(١) جاء في تاريخ احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي (دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ) ج ١ ص ٦ ما نصه : « وروى بعضهم أن آدم لما هبط كثر بكاؤه ، ودام حزنه على مفارقة الجنة، ثم ألهمه الله سبحانه أن قال : لا اله الا انت . سبحانك ، وبحمدك ،عملت سوءا وظلمت نفسي ، فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم ! فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، واجتباه ، وانزل له من الجنة التي كان فيها الحجر الاسود ، وامره أن يصير الى مكة ، فيبني له بيتا ، فصار الى مكة وبنى البيت » .

الكريم على هؤلاء في الجنّة وبصيغة الاستمرار والتجدّد . (بما تفيده صيغ « يَخِرّون » و « يقولون » و « يخرّون » و « يبكون » و « يزيدهم » بصيغة المضارعة) – قريناً « لتوظيف » اللغة العربية في الجنّة دائماً وأبداً . وإذا كان القرآنُ الكريم « يزيدُ » أهلَ الجنّةِ خُشوعاً كُلّما تُلي عليهم – أفليس ذلك في الدّلالة على أنّ هؤلاء العبادَ كلما ازداد قُرْبُهم من لطائف القرآن الكريم بلغته العربية كان ذلك أدعى إلى هَزّهم وتطريبهم وتحريك لواعج الشوق والخشوع لديهم . بلى وربّي إنّه لكذلك .

وإنْ نحنُ تأمّلنا نَسَقَ الآيات الكريمة التي اشتملت على ذِكْرِ القرآن عربياً نلاحظ تطوّراً بالغ الدّلالة ؛ إذ في الوقت الذي كانت الآياتُ المكيّةُ تتواتر بالتصريح على أنّ الله أنزلهُ قرآناً عربياً وإذا في هذه الآية المدنية يُصرّح الله تعالى أنّه أنزلَه حُكماً عَربيّاً . يقول تعالى :

﴿ وكذلك أنزلناه حُكماً عربيّاً، ولئن اتّبعتَ أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا واق * . . .أولم يَروْا أنّا نأتي الأرض نَنْقُصُها من أطرافها والله يَحْكُمُ لا مُعَقّبَ لحُكْمهِ وهو سريع الحساب * وقد مكَرَ الذين من قبلهم فللّه المَكْرُ جميعاً يعلم ما تَكْسِبُ كلُّ نفس وسيعلم الكُفّارُ لمن عُقبى الدّار * ويقول الذين كفروا لستَ مُرْسلاً ، قد كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَنْ عِنْده علمُ الكتاب * ﴾ الرّعد : ٣٧ – ٤٣ .

والدّلالة الهامشية للفظة « حُكْم » في هذا السّياق يُلقي الضوء عليه قولُه تعالى ﴿والله يَحْكُمُ لا مُعَقّبَ لحُكْمِه﴾ . وإذا كان

الذي أنزله الله تعالى في هذه القرينة قد كان « حُكْماً عربياً » فذلك إضافة « الحُكْم الذي لا مُعَقّب عليه »(١) إلى القرآن الكريم وإلى اللغة العربية . فإنْ يكن ذلك كُلّه قد خُتم بقوله تعالى ﴿ومَنْ عنده عِلْمُ الكتاب﴾ ؛ وكان هذا توكيداً لقوله تعالى في الآية **٣٩** ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب﴾ يتوكّد بما لا يقبل الشكّ أنّ الله تعالى قد كان يعتبر — في سابق علمه — النهايات قبل البدايات ، والنتائج قبل المقدمات مع مناخ الحديث عن القرآن عربياً ، وعن الحُكْم عربياً ، وعن حُكْمِ الله الذي لا تعقيب عليه . وهذا يقودنا إلى استنتاج واضح الدلالة والإيحاءات وهو أنّ القرآن الكريم « عربياً » قد كان الحُكْم وأُمّ الكتاب وأنّ التصريحات أو التلميحات أو المجازات أو الكنايات التي جاءت في الكتب السماوية السابقة إنما أُعطيت بقَدْرٍ مُعيّن على طريقة محدودة جداً وجرى منها النَسْخُ والمحو والإثبات مراعاة لظرف « قراءات النّاس على مُكْث » واستعدادات هؤلاء الناس وأجناسهم وألسنتهم وملابسات أحوالهم . فإنْ كان ثمّة أسماءٌ أو مصطلحات أو أمثال أو تشبيهات أو نبوءات قد سبقتْ بها الديانات السّماوية السابقة فحقيقة الأمر أنّها صُورة مقتضبة عن أُمّ الكتاب حيث القرآنُ كان « حُكماً عربياً » . وهو ما يُفَسِّرُ أجمل تفسير وأحسَنه زعْم اليهود أن إبراهيم كان يهودياً وزعم النصارى أنّ

---

(١) انظر : ابو عبدالله محمد بن احمد القرطبي : الجامع لاحكام القرآن(دار احياء التراث العربي ، بيروت : ١٩٦٦) ج ٦ . تفسير قوله تعالى (لا مُعقّب لحكمه) «أي ليس يتعقب حكمه أحد بنقص أو تغيير » .

إبراهيم كان نصرانياً فينفي الله تعالى ذلك ويردّ إبراهيمَ إلى الإسلام . قال تعالى :

﴿أم تقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هُوداً أو نصارى . قل أأنتم أعلمُ أم الله . . .﴾الآية . سورة البقرة : الآية ١٤٠ .

وقال تعالى :

﴿وقالوا كونوا هُوداً أو نصارى تهتدوا . قُلْ بَلْ مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين﴾ سورة البقرة : ١٣٥ .

وقال تعالى :

﴿ومن يَرْغَبُ عن مِلّة إبراهيمَ إلاّ من سَفِهَ نَفْسَه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنّه في الآخرة لَمِنَ الصَّالحين * إذ قال له ربّه أسْلِم، قال: أسلمتُ لربّ العالمين * ووصّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بَنِيَّ إنَّ الله اصطفى لكُمُ الدّين فلا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون * أمْ كنتم شهداء إذ حَضَرَ يعقوب الموتُ إذ قال لبنيه : ما تعبدون مِنْ بعدي ؟ قالوا : نَعْبُدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون *﴾ سورة البقرة : ١٣٠ – ١٣٣ .

وهذا في الدّلالة الأكيدة على أنّ المصطلحات الإسلامية عَربيّة الاشتقاق هي القاسم المشترك الأعظم لهؤلاء الأنبياء الذين يظن اليهودُ أنهم يهود ، ويظن النصارى أنهم نصارى ويردّهم الله تعالى إلى الإسلام .

ولو أنّا شئنا التدقيق في بعض الأسماء التي كانت في الجنّة كما يُحدّثنا بها الله تعالى قبل هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض وجدنا أنّها عربية المنشأ والاشتقاق والموسيقى وتآلف الحروف وطرائق اللفظ والجَرْس . ففي قوله تعالى :

﴿وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدّماء ونحن نُسبِّحُ بحَمْدِك ونُقدّسُ لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلَّم آدم الأسماءَ كُلّها ثم عَرَضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماءِ هؤلاء إنْ كنتم صادقين * قالوا : سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنتَ العليم الحكيم * قال : يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم ؛ فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقُل لكم إني أعلم غيْبَ السّموات والأرضِ وأعلمُ ما تُبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدَمَ فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وقلنا يا آدمُ اسْكنْ أنت وزوجُكَ الجنّة وكُلا منها رَغَداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجَرة فتكونا من الظالمين * فأزلّهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهْبطوا بعضكم لبعض عَدوٌّ ولكم في الأرض مُسْتَقَرٌّ ومتاعٌ إلى حين﴾ سورة البقرة : ٣٠ — ٣٦ .

فألفاظ آدم (وهو من الأدمة والأديم) والأرض وإبليس والشّيطان (وهي كلها عربية الاشتقاق والدلالات) قد بقيت في لغات العالم جميعاً حتى الهندو — أوروبية بمثل ما نطق بها القرآن الكريم . وإذا كانت الأسماء هي أصل اللغات بحكم ما تعيّنه من ذوات وأشياء فذلك في

الدّلالة الكبيرة على أنّ لغة آدم عليه السّلام في الجنّة قد كانت اللغةَ العربيةَ .

فإنْ أضفنا إلى ذلك أسماءَ « رقيب وعتيد » (١) واسمَ « مالك » (٢) خازن بيت النّار – وهي أسماءٌ عربية الصّيغ والاشتقاق تبيّن لنا أننا لا نعدو الصّواب حين نستشفّ مثل هذه الدلالات من كتاب ربّنا تعالى . فإنْ أضفنا إلى ذلك أسماء الحَميم والغسّاق والقارعة والصّاخة وسجّين وعليين والقيامة والحطمة والجحيم والزقوم والضريع والغسلين(٣) – نبين أنّها أسماء عربية الاشتقاق والدلالات وجَرْسِ الألفاظ . فإن جادلَ أحَدٌ أنّ هذه هي التّرجمة العربية لمعنى « الحَدَث » في لغة أُمّ الكتاب ؛ وإنْ جادلَ أحَدٌ أنّ جنّة المأوى وسِدرَةَ المُنتهى والكوثرَ – وهي أسماءٌ عربية الاشتقاق والدلالات – هي التّرجمة العربية لمعنى « الحَدَث » في لغة أُمّ الكُتاب ؛ فما من أحَدٍ يملك أن يجادل في أنّ « سلسبيل » هي اسم عَرَبي دلالة واشتقاقاً ولفظاً وجَرْسَ حروف وجمالَ تآلف . وهو أمْرٌ قد قَرَّره الله تعالى بصريح النصّ حين قال :

﴿ . . . عَيْناً فيها تُسمّى سَلْسبيلاً ﴾ سورة الإنسان : ١٨ .

---

(١) قال تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) سورة ق : ١٨ .
(٢) قال تعالى (ونادوا : يا مالك ليقض علينا ربك . قال : انكم ماكثون) سورة الزخرف : ٧٧ .
(٣) انظر في ذلك : صحيح البخاري ج ١ باب بدء الخلق .

ولو لم تكن اللفظة المُسمّى بها « يقيناً » عربيّة ما كانت لتكون مُعْرَبَة (من المُعرب بإزاء المبنى) ولكانت ممنوعة من الصّرف . وقال البخاري في معناهما نقلاً عن مجاهد « حديدة الجِرْية » (١) . ومثل ذلك باب « الرَّيّان » في الجنّة (٢) .

فإن وصل الأمرُ إلى أسماء الله الحُسنى وهي ألفاظ عربية الدّلالة والاشتقاق والموسيقى وهي (٩٩) اسماً بالتمام والكمال (٣) — وهو تفصيل لا نظيرَ له في كل الرّسالات السماوية السّابقة — ما عرفناه من خلال التراث الإسلامي ذاته وما عرفناه من خلال المصادر الخارجية — يتبين لنا أنّ دلالاتِ هذه الألفاظ في قاموس « الملأ الأعلى » واضحة الترابط والقيم في نسيج واحد متجانس متماثل . وهي أسماء أثنى بها اللهُ تعالى على نفسه فهي — إن شئتَ — « توقيفية » . وقد تبدو هذه الأسماء أنها زائدة عن حاجة المسلم إليها في الحياة الدنيا مما يُعزّز أنّها كاملٌ تَوْظيفها في جنّات الخلود . فإذا تبيّن أنّ حُروفَ العربية لها ترتيب « وظيفي » في حفظ القرآن الكريم من التحريف والزيادة والنقصان بمثل ما تفيض به دراسات الكمبيوتر ، فإنّ كُلّ القرائن المرتبطة بالقرآن الكريم تُؤكّدُ أنّ اللغةَ العربيةَ «تُصْنَعُ على عين الله» غير خاضعة لقانون الولادة والموت والفساد الذي ينتظم ألْسِنَةَ النّاس

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١١٨٣ .

(٢) المصدر ذاته ج ١ ص ١١٨٨ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « في الجنة ثمانية أبواب ، فيها باب يسمى الريان ، لا يدخله الا الصائمون» .

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٩ .

جميعاً . ولا يعني أنَّ ذلك يَحولُ دون غناها ونموّها وترعرعها ؛ العكس هو الصحيح . فلقد كان الأنبياءُ عليهم السلام « بأعين الله » وكانوا « يُصنعون على عين الله » ومع ذلك فقد كانت فُرَصُهم (بضم الفاء وفتح الراء وضم الصَّاد) البشرية في النماء والاستزادة والغنى الفكري والأدبي والحضاري كبيرةً ومُنافِسَة (بكسر الفاء) .

ومِنْ عَجَبٍ أنَّ أسئلةً لم تنشأ في عهد الصَّحابة رضوان الله عليهم حول حقيقة هذه الحروف المقطّعة أوائل السّورَ من مثل (ألم ، ألر ، كهيعص ، ن) كأنّهم قد وَعوا أمرَ « المُسارَّةِ » عليها من حيث دلالتُها على الخطّ العربي في اللوح المحفوظ وبحروف عربية التلاوة والكتابة على السّواء . ونشأت كُلّ التأويلات بعد ذلك في عصور متأخرة نسبياً . (طالع بعض هذه التأويلات في البحر المحيط جـ١ ص ٣٤ وما بعدها) .

الزمان وأبعاده التاريخية والحضارية

ولا ينبغي أنْ يَظُنَّ أحَدٌ أننا في وَضْع نحن فيه أذكى من أسلافنا اللغويين والأدباء والمؤرخين المسلمين الذين كانوا يصولون ويجولون في آفاق العربية وخصائصها والذين خَصّوا العربية بالحكمة والبيان وفصل الخطاب وفضائل كثيرة عَرِيَتْ عنها اللغاتُ الأخرى (١) ؛ ولكنّا

---

(١) يقول الجاحظ : « والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان » . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٤ (المجمع العلمي العربي الاسلامي ، بيروت ، بدون تاريخ) ج ٤ ص ص ٥٥ــ٥٦ . وانظر : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : كتاب الحيوان (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ م) ج ١ ص ٩٠ (حيث يتهكم على منطق ارسطو بالقياس الى بلاغة العرب ومنطقها) .

ويقول ابن قتيبة : « ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعدّ نفسه من البكم ، أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لايقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب » .

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : أدب الكاتب ، ط ١ ، تحقيق محمد الدالي (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ م) ص ٦ .
ومثله فعل أبو الفتح ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر (مطبعةالحلبي،=

مُنحنا (بصيغة المجهول) من الأبعاد الزمانية والقرائن الحضارية والمعطيات الثقافية ما يجعل الصّورَة أمامَنا واضحةَ المعالم والقَسَمات .

أوَليسَ في التدبير الإلهي أن تكونَ جميعُ اللغات « السّامية » قد انقرضت وبادَ أهلُها بالكامل (اليهود في فلسطين هم أناس مُهجّنون قد تهَوَّدوا) وبقيت اللغةُ العربيّةُ سائرةً إلى النماء والغنى والاتساع حتى لكأنّ لسان قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اللسانُ الحَيّ مُشافهةً وكتابةً . ولمّا كان التركيز في القرآن الكريم على الترتيل فإنّ ذلك كان في الحوافظ التي عملت على بقاء العربية رَطْبَةً غضّةً كما كانت في أسواق العرب قبل الإسلام . ومثلَ اللغات السّامية كانت اللغةُ اليونانية التي انقرضت وباد أهلُها بالكامل (أهل اليونان بعد ذلك شعب من سلالة مختلفة تماماً وليس كما وَهَمَ الغربيون

= القاهرة ، ١٩٣٤ م) ج٢ ص ٤ .

وقارن ابو حيان التوحيدي بين العربية من جهة وبين اللغات التي عاصرها من جهة أخرى فقال : « وقد سمعنا لغات كثيرة ــ وان لم نستوعبها ــ من جميع الامم كلفة اصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج ، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية ، أعني الفُرَج (بضم الفاء وفتح الراء) التي في كلماتها ، والفضاء الذي نجده بين حروفها ، والمسافة التي بين مخارجها ، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها ، والمساواة التي لا تجحد في بنيتها . . » : الامتاع والمؤانسة ، تصحيح : احمد امين واحمد الزين (المكتبة العصرية ، بيروت ــ صيدا) (مصور من طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٣م) ج ١ ص ص ٧٧ــ٧٨ . (لاحظ ان ابا حيان التوحيدي كان قد عاش في مجتمع كثرت فيه الاجناس غير العربية وكان لها ثقلها السياسي والاجتماعي والثقافي . وقل مثل ذلك في أبي محمد بن حزم في قرطبة .

فحملوا على الدولة العثمانية يحررون اليونان يزعمهم على أنها مسقط رأسهم الفلسفي »⁽¹⁾ .

إنَّ الذين يُحاولون أن يُضيفوا إلى اللغة العبرية أمجاداً مُصطنعة سواء من كان منهم اليهود بأسماء غربية وشرقية ، ومن كان منهم ضحايا اليهود من علماء آثار وأفكار ، ومن كان منهم يصانع اليهود زُلفى واشتراك مصالح – إنما يسبحون ضِدَّ اتجاه التيّار وعلى حساب الحقائق والموضوعية والواقع . وها هو العالم الألماني والمستشرق الكبير Gesainius والذي انتهى إليه علم العبرية القديمة واللغات السّامية المختلفة يبني معجمه الكبير والفريد والعملاق على حقيقة أنَّ العربية هي الأصل وجذورها واشتقاقاتها هي النبع « الفوّار » قبل المعلّقات وبعدها وأنَّ اللغات السامية الأخرى كليشيهات جاهزة وتراكيب باهتة و « فلول » ألفاظ قد ضلّت أنساقها . وهي معلومات كان قد أفاضَ في الحديث عنها الأستاذ أنيس فريحة في الجامعة الأمريكية ببيروت .

وهذا يُثْبِتُ أنَّ ما يدَّعيه البعض من وجود أسماء أعجمية في القرآن الكريم بحكم ما وجدوه من مرادفات متشابهة غير صحيح البتّة . وإنْ كان ثَمّة تشابهٌ فالألفاظ أصلها عربي واللغات الأخرى هي التي

---

(٢) انظر :

Byron Childe Harold's Pilgrimage and Other Romantic Poems edited by John D. Jump (J. M. Dent , London : 1975) .

هذا الشاعر الانجليزي كان مهووسا في تحرير اليونان من الاتراك العثمانيين لظنه ان اليونان هم أبناء اليونانيين القدماء .

سَطَتْ عليها أو أغارت عليها أو استفادتها . وهو ما يتسق وقولَه تعالى في لغة ما كان أوضحَ التهكُّمَ فيها :

﴿. . لِسانُ الذي يُلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين﴾ سورة النحل : ١٠٣ .

وقولَه تعالى ﴿ ولو جَعَلْناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصّلت آياتهُ . آعجميّ وعربيّ ؟ . . الآية﴾ سورة فُصّلت : ٤٤ .

وصحيح أنّ هناك مؤلفين مُسلمين كانوا قد انساقوا وراء هذه المتشابهات واستكثروا منها وليس هذا بحُجّةٍ علينا إذ الحقّ قديم والحقّ لا يسقطه كثرة التأويلات وتعدّد الروايات وعِظَمُ الصّفحات والمؤلفات . وما أحسنَ ما عَبّر به القرطبي إذ ورد الحديث حول لفظة « طوبى » في قوله تعالى ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ الرعد : ٢٩ . فقال ابن عباس إن طوبى اسم الجنة بالحبشية وقاله سعيد بن جبير وأن الربيع بن أنس قال هو البستان بلغة الهند . فأورد القرطبي قول القشيري : « إن صحّ هذا فهو وفاق بين اللغتين »(١) .

أوَليسَ في التدبير الإلهي أن يكون المغول الذين كانوا أداة تدمير للتراث العربي الإسلامي قد أصبحوا أداة نشر الإسلام واللغة العربية

---

(١) جاء في تفسير قوله تعالى (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق) الكهف : ٣١ في البحر المحيط ج ٦ ص ١١٢ : واكثر التفاسير على انها عربية » اشارة الى لفظة استبرق وذلك من برق يبرق بريقا .

في جنوب شرقي آسيا (١) ؛

أوَليسَ في التدبير الإلهي أن يكونَ الأتراكُ العثمانيون وقد استبدلوا بالعربية لغتهم الطورانية فكان الله تعالى قد أدال منهم على نحوٍ لم يَسْتكنه أسرارَه منهم إلاّ القليلُ القليلُ ؟

وعلى صعيد النقوش والآثار والقبوريات والحضارات القديمة فإنّ دراسات العلماء الغربيين المحايدين تتفق والتصوّر الإسلامي الذي قد بانت لنا أماراته . فلقد نشرت مجلة العربي الشهرية (العدد ٣٠٥ نيسان عام ١٩٨٤ م) استعراضاً لكتاب الدراسات الشرقية في الجامعات الألمانية

Deutsche Orientalistik am Beispiel Tubingens

بقلم : عبد المقصود حبيب ، جاء فيه وصف لبحث وضعه « والتر موللر » وكانت أطروحته للدكتوراة في عام ١٩٦٨ م في فقه اللغات السامية المقارن . وتتركز دراسته على اللغة السّبئية (العربية الجنوبية القديمة) . وقد جاء بحثه هذا تحت عنوان (لمحة عن الرسوم الصخرية والنقوش في جزيرة العرب) يقول فيه :

« يعتقد الكثيرون أن شبه الجزيرة العربية دخلت التاريخ بظهور الدين الإسلامي غير انه لدى ذكر بلاد العرب قبل الإسلام يخطر على البال ما ورد عنها متفرقاً في التوراة وما ذكره مؤلفو الإغريق والرّومان

---

(١) انظر في ذلك : كتابنا : من أساليب البيان في القرآن الكريم . ط ٢ مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان : ١٩٨٢ م) ص ٩ . والمستشرق الانجليزي توماس ارنولد له كتاب بهذا الشأن هو «الدعوة الاسلامية» ترجم نصولا عنه محمد خالد حسين بعنوان «بين الناس كافة (وزارة الاوقاف عمان : ١٩٧٢ م) .

ووجود شعراء سبقوا مجيء النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ممن بلغ إنتاجهم ذروة التطور بل تتوفر أيضاً وثائق عديدة من شبه الجزيرة العربية نفسها تدلّ دلالة واضحة على سكانها الأوائل وطرق معيشتهم ، فقد عثر على المئات من الرسوم الصخرية التي بدأ البحث العلمي يُعنى بها منذ عهد قريب والتي تمثّل فترة ما قبل الكتابة . أمّا بعدها وابتداء من الألف الأول قبل الميلاد ، فلدينا الآلاف من النقوش السّامية الجنوبية التي أخذ عددها يتزايد في الفترة الأخيرة ، وتدل الآثار المكتشفة على أنّ الجزيرة العربية لم تكن خالية من السكان قبل ألفي سنة من الميلاد ، فالموجودات الآثارية المتوفرة تغطي كل فترات العصر الحجري الهامّة ، فقد عثر في وسط المملكة العربية السعودية وفي جنوبها الغربي على رسوم يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد وتمثل هذه الرسوم صوراً من حياة السكّان في ذلك الوقت وملابسهم وأعمالهم وأسلحتهم وعاداتهم ».

ويقول المستشرق الألماني والتر موللر :

« إنّ أول من خلّف الشواهد النقشية في شبه الجزيرة العربية هم السبئيون من عرب الجنوب ، وكتاباتهم منقوشة في غاية من الدقة والعناية في لغة أطلق عليها اللغة العربية الجنوبية القديمة وهي لغة تنقسم إلى لهجات مختلفة . . . تحمل كل لهجة منها اسم شعبها أو دولتها. ولم يقتصر العثور على النقوش العربية القديمة على جنوب الجزيرة العربية فقط بل عثر على كثير منها أيضاً في الشمال الغربي حول (ديدان) القديمة التي كانت تمثل مركزاً هاماً بعيداً على طريق البخور الشهير . وكانت قد نشأت فيها مملكة خاصة بعد اضمحلال دولة (معين) التي حكمت المنطقة، وقد ورد ذكرها في نقوش تسمى النقوش الديدانية، وهي ذات حروف تشبه

حروف المسند إلى حدّ كبير ، وأعقبت النقوشَ الديدانية نقوش لحيانية من زمن ملوك لحيان الذين حكموا هناك قرناً ونصف قرن من الزمان .

وفي القرن الأول قبل الميلاد استولى الشعب التجاري المقيم شمالاً (النبطيون) على واحة ديدان وخلفوا لنا في مدينة (الحجر) وما حولها عديداً من النقوش كتبت بالخط الآرامي ، والنصوص الآرامية جاءت من تيماء الواقعة شمال شرقي ديدان ، كما وجدت هناك أيضاً نقوش قديمة تحمل نمط الخط نفسه للمنطقة ولذلك عرفت بالنقوش التيمائية .

ولقد وصل إلينا نقش وجد في النمارة على قبر امرىء القيس المتوفى في عام ٣٢٨ بعد الميلاد والمنعوت بملك العرب كلها ، وهو نقش ذو شكل كتابي يعتبر مرحلة الانتقال إلى الكتابة العربية المعهودة في النصوص المبكرة ، ولغته – ولا ريب – هي اللغة العربية الشمالية وبذلك يعد أقدم نص معروف حتى الآن كتب باللغة العربية ، اللغة التي نشرها الإسلام ، وتبوأت مكانها المرموق في المعمورة منذ ذلك الحين » .

وقد حضر كاتبُ هذا التذوق مساقاً كان يعطيه البروفيسور **Beeston** في جامعة أكسفورد وفيه كتابات قبوريات أحضرتها المدرسة البريطانية للآثار من جنوب جزيرة العرب وكلها عربية واضحة المعالم والقسمات والصيغ والجذور والتراكيب . كان ذلك عام ١٩٧٨ م .

فإن أخذنا بعين الاعتبار أن القرآن الكريم قد تحدّث عن عشرات الموجات العربية والشعوب العربية التي كانت تعيش حوالي أُمّ القرى (مكة) وبينها وبين اليمن ، وبينها وبين الهلال الخصيب ، وعن أنبياء

عرب كانوا قد أرسلوا إليها – لا تعرف التوراة العِزرية عنهم شيئاً ، قال تعالى ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومَه بالأحقاف وقد خلت النّذر من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * . . . * ولقد أهلكنا ما حولكم من القُرى وصرّفنا الآيات لعلهم يرجعون *﴾ سورة الأحقاف ، ٢١ – ٢٧ .

فأين ثمة ورد ذكر هؤلاء في التوراة العزرية وهل وعت عنهم شيئاً أو درت بهم (١) ؟ ومثل هؤلاء قوم تُبّع وأصحاب الأيكة ومدين والمؤتفكات . قال تعالى ﴿وأصحابُ الأيكة وقوم تُبّع﴾ . . . الآية سورة ، ق ١٤ . وقال تعالى : ﴿وأصحاب مدين والمؤتفكات﴾ سورة التوبة : ٧٠ .

ومثل ذلك ما كان من بعث صالح إلى قوم ثمود . قال تعالى : ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ سورة هود : ٦١ .

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك : ﴿فلما جاء أمرُنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة مِنّا ومِنْ خِزْيِ يومئذ . إنّ ربّك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأنْ لم يَغْنَوْا فيها . ألا إنّ ثموداً كفروا ربّهم . ألا بُعداً لثمود﴾ سورة هود : ٦٦ – ٦٨ .

---

(٢) ومن هؤلاء : جرهم وقطورا وطسم وجديس وأميم وإرم . انظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ص ٨–٩ .

وإذا كان صالح (النبي العربي) قد نجا والذين آمنوا معه، أفلم تكن لهم حضارة ؟ – فإن ذلك يَدُلّ على أنّ اللغة العربية كانت لغة الحضارة القديمة ولغة التجارة ولغة النقوش في سابق الآجال في بلاد العرب وما جاور منها . وليست اللغاتُ الفنيقية واليونانية والعبرية والآرامية والسريانية إلاّ لغاتٍ حديثة العهد جداً بالقياس إلى العربية القديمة . ناهيك عن حضارة اليمن السعيد وما كان بها من غنى وموارد واستقرار تحدّث عنها وعن السّيل العَرِم فيها وتفرّقِ قبائلها في البلاد – القرآنُ الكريم (١) . وإذا كانت هذه اللغات على قِدَمها حديثة عهد بالقياس إلى العربية الأصيلة فليس من حَقّ بعض الناس أن يُرَوِّجوا لآثار رومانية في الشرق العربي كأن بلاد الشرق العربي في رأيهم قد كانت رومانية . لقد استعمرها الرّومان وكما اجتاحها المغول ؛ وليس من حَقّ لهؤلاء في مرفق من مرافقها أو في حفنةٍ من ترابها أو في نقش من نقوشها . العكس هو الصحيح . إن ملايين الدنانير الذهبية والأرواح البشرية قد أهدرت وأزهقت على مذبح الأطماع الرومانية، وإنه آن الأوان كي تعود الكنوز هذه والحقوق إلى أصحابها الشرعيين من عرب بلاد الشام والشرق العربي . ثم إنّه قد آن الأوان لبعض المعصوبة عيونهم من أبناء المسلمين في مصالح دراسة الآثار ودوائرها – في المشرق الإسلامي أن يُلغوا هذه التبعية السياحية إلى روما وإلى التوراة العزرية وإلى فينيقية

---

(١) قال تعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خَمْط وأثل وشيء من سِدر قليل . . . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير . . سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) .

سورة سبأ ١٦ – ١٨

وإلى اليونان . مَنْ هؤلاء جميعاً أمام عشرات الألوف من بزوغ نجم الثقافة العربية واللغة العربية في ربوع المشرق العربي ؟

أمّا ما يذكره محمد بن سَلاّم الجمحي (ت ٢٣١ هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء^(١) في صدد حديثه عن الشعر المنحول بقوله :

« أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاهُ منذ آلاف من السّنين ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الذين ظلموا﴾ (سورة الأنعام : ٤٥) ، أي لا بقيّة لهم ، وقال أيضاً : ﴿وأنّه أهلك عاداً الأولى * وثمودَ فما أبقى﴾ (سورة النجم : ٥٠ — ٥١) ، وقال في عاد : ﴿ فهل ترى لهم من باقية﴾ (سورة الحاقة : ٨) وقال : ﴿وقُرُوناً بين ذلك كثيراً﴾ (سورة الفرقان : ٣٨) ، وقال : ﴿ ألمْ يأتِكُمْ نبأُ الذين من قَبْلكم قَوْمِ نُوح وَعَادٍ وثمودَ والذين مِنْ بَعْدِهم لا يعلمهم إلاّ الله﴾ (سورة إبراهيم : ٩) »[٢] ، فذلك في معرض رَدّ الشعر المنسوب إلى هؤلاء . وهذا الشعر قد وصل بلغة أهل الشمال . وإن كان هؤلاء قد قُطِعَ (بصيغة المجهول) دابرُهم فلا يعني أنّ لغتهم وخطّهم وحروفهم وسجلاتهم ونقوشهم كانت قد قُطعت بقطعهم ؛ فهذه أمور حضارية ثقافية تحتاج زمناً حتى تُمحق . وهذا أمر قد نصَّت عليه الآياتُ القرآنية أيضاً في سياقها . ففي الحديث عن قوم عاد يأتي السّياق القرآني هكذا :

---

(١) قرأه وشرحه الاستاذ محمود شاكر . مطبعة المدني . القاهرة ١٩٧٤ م
(٢) المصدر ذاته ج ١ ص ٨—٩ .

﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النُّذر من بين يديه ومِنْ خَلْفِه ألا تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذابَ يوم عظيم * قالوا أجئتنا لتأفِكَنا عن آلهتنا فأتِنا بما تَعِدُنا إن كُنتَ من الصادقين * قال إنما العلمُ عند الله وأُبَلّغكُمُ ما أُرْسِلْتُ به ولكني أراكم قوماً تجهلون * فلما رأوه عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أوديتهم قالوا : هذا عارِض مُمطرنا . بَلْ هو ما استعجلتم به ، رِيحٌ فيها عذابٌ أليم * تُدَمّرُ كُلَّ شيء بأمر رَبّها فأصبحوا لا يُرى إلاّ مساكنُهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مَكّنّاهم فيما إن مَكّنّاكم فيه . . . * الآيات﴾ سورة الأحقاف : ٢١ — ٢٨ .

وإذا كان هؤلاء قد كان لهم حضارة ولغة ومُكّنوا (بصيغة المجهول) في الأرض وبقيت مساكنهم قائمة بعد موتهم ؛ أفلا يعني ذلك أن نقوشهم وسجلاتهم الكتابية كانت قد بقيت ؟ بلى وربّي .

ثم إنّ الله تعالى قد أهلك من هؤلاء القوم المجرمين . أمّا نبيّهم هُود والذين آمنوا معه فقد كُتِبَ (بصيغة المجهول) لهم النجاة . وهؤلاء كانوا ينتمون إلى ذات الحضارة المكتوبة والمنقوشة، وظل أثرهم فيمن بعدهم قائماً .

ومثل ذلك كان الحال مع قوم ثمود. قال تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً . . . الآية﴾ سورة هود : ٦١ .

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك : ﴿فلما جاءَ أمرُنا نجّيْنا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومن خِزْي يومئذٍ . إنّ ربّك هو القويّ العزيز *

وأخذ الذين ظلموا الصَّيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يَغْنَوا فيها . ألا إنَّ ثموداً كفروا ربّهم . ألا بُعْداً لثمود﴾ سورة هود : ٦٦ — ٦٨ .

وإذن أُهلك (بصيغة المجهول) هؤلاء فيما بقي سجلهم الكتابي والخطي والنقشي والحضاري قائماً . ثم إنَّ صالحاً والذين آمنوا معه قد استمروا في ذات المناخ الحضاري والثقافي واللغوي ولكن موحدين الله ربَّ العالمين .

وإذن فلا تعارض بين نقد محمد بن سلام الجمحي للشعر المنسوب إلى هؤلاء وبين المستوى الذي نبني عليه أحكامنا في سياق هذه النظرية . إنَّ الأمرين مرتفقان . بل إنَّ جُرأة الرواة في الوضع على ألسنة أناس من عاد وثمود وغيرهم لدليل على أنَّ التراث المكتوب لهؤلاء كان من الحياة بمكان كبير(١) . وهو يَعْضُد ما نذهب إليه في هذه النظرية .

وأمّا قولة أبي عمرو بن العلاء « ما لِسانُ حِمْيَرَ وأقاصي اليمنِ

---

(١) يؤيد هذا الاستنتاج ما كتبه ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي ت ٣٤٦ هـ في « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ط ١ (دار الاندلس بيروت : ١٩٦٥) ج٢ ص ١٤ـ١٥ قال ما معناه :
«مساكن ثمود بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي ، وديارهم بفج الناقة ، وبيوتهم الى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال ، ورسومهم باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد من الشام بالقرب من وادي القرى ، وبيوتهم منحوتة في الصخر بأبواب صغار . وليس هؤلاء كعاد ، اذ كانت آثارهم ومواضع مساكنهم وبنيانهم بأرض الشحر تدل على بعد (طول) اجسامهم » .

اليومَ بلساننا ، ولا عربيتُهم بعَرَبيتِنا »(١) فقد فسّرها محمد بن سَلاّم الجمحي في سياق آخر قال : « . . . اللسان الذي نزل به القرآن ، وما تكلمت به العربُ على عَهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتلك (عربيّة إسماعيل عليه السلام) عَربيّةٌ أخرى غيرُ كلامنا هذا »(٢) .

وإذن على مستوى اللسان واللغة المحكية فقد كان ثمّة تفاوتٌ . ولكنّ هذه عربية وتلك عربية . فالأصول والجذور والاشتقاقات والتراكيب واحدة . أي أن شجرة اللغة العربية قد كانت ممتدة الجذور في القِدم ممتدة الفروع والأغصان في بلاد الشرق العربي بكامله .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١١ .
(٢) المصدر ذاته ج ١ ص ٩ ، ١٠ .

رقّع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الكشف الجديد لمدينة « أيبلا » شمال حلب

ومسؤولية اعادة كتابة التاريخ القديم
على ضوء الحقائق الجديدة

نشرت مجلة العربي الشهرية (العدد ٣٠٥ ، نيسان ١٩٨٤ م) مقالاً بعنوان : « لغز ايبلا » بقلم : محمد الأسعد جاء فيه :

« الكشف الجديد لمدينة ايبلا شمال حلب ، يعيد رسم لوحة التاريخ القديم ، ويكشف الكثير من الحقائق الهامة ، ويضع على المؤرّخين العرب مسؤولية إعادة كتابة التاريخ القديم على ضوء الحقائق الجديدة » .

وجاء في قصة التنقيب عن هذه المدينة :

« في أكتوبر من عام ١٩٧٥ م توصلت بعثة إيطالية للتنقيب عن الآثار في موقع « تل مرديخ » شمال مدينة حلب إلى العثور في غرفتين من غرف قصر ملكي على آلاف الألواح الطينية قدر عددها بـ ١٦٥٠٠ لوح بالإضافة إلى مئات الشظايا المحطمة » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد قوله :

« وهكذا تكللت جهود التنقيب المتواصلة منذ عام ١٩٦٤ م بالعثور على المحفوظات الملكية لما أصبح يطلق عليها في أوساط الباحثين مملكة « إيبلا » . تلك المملكة التي ورد اسمها في آثار متفرقة وجدت في بلاد سومر وأكد ومصر القديمة منذ البدايات الأولى للتنقيبات الأثرية في المنطقة العربية بحدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر » .

« وقد ظل اسم « إيبلا » علماً على مملكة مطمورة تحدّثت عنها كتابة منقوشة على تمثال للملك (جوديا) حاكم « لكش » السومرية في الألف الثالث قبل الميلاد ووصفتها بالمصدر الذي يمد « لكش » بالأخشاب . وتحدثت عنها نصوص وجدت في مدينة (أور السومرية) بوصفها مركزاً لصناعة النسيج » .

« وظهر اسم المملكة مجدداً على لوح مهم اكتشف في نهاية القرن التاسع عشر يصف فتوحات (سرجون) الأكدي (**٢٣٤٠ — ٢٢٨٤** ق . م) ويشير إلى احتلاله لثلاث مدن هي (ماري) و (ايبلا) و (يارموتي) وهو في طريقه إلى جبال الأمانوس . وعاد الاسم مجدداً إلى الظهور في كتابة على تمثال بازلتي عثر عليه في مدينة (أور) . وتروي الكتابة فتوحات حفيد (سرجون) المعروف باسم (نارام رسف) الذي حكم بلاد سومر وأكد ما بين (**٢٢٥٩ — ٢٢٢٣** ق . م) وضمن هذه الفتوحات يذكر هذا الملك أنه فتح (ايبلا وأرمان) اللتين لم يسبق أن فتحهما أحد قبل نهاية الخليقة . . . » .

وهذه الجملة الأخيرة بالغة الدلالة على ما نحن بصدده من أنّ لغة آدم عليه السّلام قد كانت العربية وأنّ هذه العربية ظلّت تُمِدّ الكثير

من القبائل العربية بأسباب التطور الكتابي والاشتقاق والتعبيري والثقافي.

وهذا الأستاذ محمد الأسعد يُنوّه بالحقيقة الرائعة المتصلة بهذا لاكتشاف يقول :

« أظهرت الترجمات الأولى لنصوص (ايبلا) المكتوبة بالخط المسماري وبلهجة مختلفة عن السومرية والبابلية والآشورية وقريبة من الأكادية والكنعانية ، أن هذه المملكة التي بادت في عشرينيات الألف الثالثة قبل الميلاد ، كانت مملكة ذات مدنية متطورة في أرض (كنعان) توازي مثيلاتها في أرض الرافدين ومصر ، وكانت قُوَّة سياسية كبرى هيمنت على أجزاء سياسية من هذه الأرض ، وكان لها أحلاف واتفاقيات سياسية واقتصادية . وكان تجارها يجوبون البلاد من الأناضول إلى مصر ، ومن البحر المتوسط إلى أرض الرافدين » .

ومن عجب العجاب بل من جمال الاتفاق أن يلتقي هذا التذوق الجمالي للنصوص القرآنية فيما اتصل باللغة العربية واللسان العربي مع هذه الرؤية الحضارية التي يراها الأستاذ محمد الأسعد قرينة الآثار في مدينة (ايبلا) . يقول :

« على أنّ القيمة الحقيقية لهذا الكشف تغوص عميقاً إلى الطبقات التحتية للبنية السياسية والاقتصادية ، أي موقع (ايبلا) الفكري في مضمار ما يطلق عليها اصطلاحاً « الحضارات الساميّة » . ويشمل هذا الموقع اللغة والدين والآداب والفنون وكل المنجزات الفكرية والتطبيقية التي حققتها هذه الحضارات وطبعت بها تاريخ المنطقة (السامية) حتى العصر الراهن » .

ويضيف : « والحقيقة أن هذا الطابع الفكري العام الذي كشفت أجزاء منه الآثار المعروفة في وادي الرافدين ومصر الفرعونية ليس افتراضاً بل هو واقع أصبح مقرراً منذ نصف قرن . وقد غذّت التنقيبات المتتابعة في المناطق السورية هذا الواقع بالمزيد من التفاصيل وخاصة تلك التي تمت في موقع مدينة (ماري) على الفرات وفي موقع مدينة (أوغاريت) قرب اللاذقية . وتبين أنّ هذا الطابع الحضاري قد امتد إلى بلاد اليونان الإغريق (١) ومنها إلى الحضارة الحديثة » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد قائلاً :

« وبعد أن كانت نزعة المركزية الأوروبية تَدّعي أن تاريخ

---

(١) يذهب كاتب هذا التذوق الى ان بعض اسماء الالهة عند الاغريق مثل أبوللو Apollo واللوتس Lotus مستعارة من اللغة العربية ومن مشركي العرب في أم القرى وما حولها قبل الاسلام . فلفظة أبوللو هي (هبل) ولفظة اللوتس هي (اللات) . يعزز هذا المذهب ما يذكره مجاهد قال « اشتقوا (المشركون) اللات من الله ، والعزّى من العزيز » . (تفسير ابن كثير . تفسير سورة الاعراف ص ٦٩) .

ومن باب رد الجميل الى أهله فانني لاذكر للاخ الدكتور جاسر ابو صفية اصراره على ان أصل هذه الالفاظ عربي ، واصراره على ان ألفاظ القرآن جميعا عربية ، واصراره على ان دعاوى ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب بقبس آداب فارس القديمة ليس لها سند من الصحة لا من خلال النقد الكبير للنصوص ولا من خلال النقد الصغير لها وان الثقافة العربية المتطاولة في القدم هي المنبع لا محالة .

(أما هبل فكان لبني بكر ، ومالك ، وملكان وسائر كنانة وكان في جوف الكعبة على البئر التي كان يجمع فيها ما يهدى للكعبة) جمهرة انساب العرب ص ٤٩٢ . (اما اللات فكان بالطائف لثقيف) المصدر ذاته ص ٤٩١ . (والعزى كانت شجرة بنخلة يعبدها غطفان) المصدر ذاته ص ٤٩١ .

الحضارة لا يمتد زمنياً إلى ما هو أبعد من الإغريق وما أطلقوا عليها (الحضارة العبرية) أصيبت هذه النزعة بحرج بالغ ، وتبلبلت أفكار دُعاتها أمام الألواح الطينية في سومر وأكد وبابل وآشور وأوغاريت وأريحا وأعمدة الكرنك » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد قوله :

« ولم تُظهر هذه الألواحُ أن المنطقة العربية ذات مساهمة عريقة في سُلّم التحضّر الإنساني فقط ، بل أظهرت شيئاً في منتهى الأهمية وهو أنَّ ما يُسمّى (بالحضارة العبرية) مصطلح مختلق شأنه في ذلك شأن مصطلح (السّامية) وأن تاريخ المنطقة وفق الوثائق الأثرية لم يشهد إلاّ موجات حضارية مترابطة وذات أصول لغوية ، ودينية وأدبية وقانونية واحدة ، تلك هي الأصول العربية » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد معلقاً على هذا « التواطؤ العالمي » على طمس جذور هذه الحضارة العربية :

« ورغم تصاعد موجة الاعتراف بوجود حضارات غير حضارة الإغريق أضاءت العالم القديم في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش عصورها الحجرية ، إلاّ أنَّ هذا الاعتراف ظَلّ مشوباً بروح غير علمية حين يصل الأمر إلى تحديد هوية هذه الشعوب التي أقامت هذه الحضارات وإلى تحديد الموقف من خلافات راسخة تداولها العالم بوساطة (التوراة) اليهودية . فقد ظَلّ هذا النص المكتوب في القرن الخامس قبل الميلاد نوعاً من الكتاب المقدس والمرشد لدى المؤرخين والباحثين

وعلماء الحضارات وفلاسفة التاريخ من الغربيين ، حتّى لو ضلّلهم ، وتعارضت خرافاته مع حقائق علوم الآثار واللغات والأجناس »(١) .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد معلقاً على التسمية المغلوطة لحضارة المنطقة :

« ومن هنا فقد تبنّى « شلوتزر » النمساوي في عام (١٧٨١ م) تسمية (السّامية) ليصف بها الشعوب العربية وموجاتها المتتابعة من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب . ومن هنا أيضاً أطلقت على اللهجات المتعددة مثل البابلية والآشورية والكنعانية والآرامية تسمية اللغات السّامية وليس اللهجات العربية . ورغم ورود لفظ « السّامية » في الوثائق التاريخية إلاّ أنه أصبح معتمداً بإصرار غريب حتّى يظل لخرافة انحدار شعوب العالم من عدد من أسماء الأشخاص وزنها وتظل (التوراة) هي المرجع والأساس » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد مبيناً حجم هذا التواطؤ الغربي ضد الحضارات العربية :

« والمتابع لكتب الغربيين عن الأقطار العربية يلمس كيف بُنيت

---

(١) من ذلك مثلا الاستاذ الدكتور انطون مورتكات في كتابه « تاريخ الشرق الادنى القديم » تعريب : توفيق سليمان وزميليه (بدون دار النشر والسنة) يقول : « وبما اننا انطلقنا ــ ولا نزال ــ من الاسماء التي جاء ذكرها في التوراة . . . » ص ١٤ .

ولعل الاستاذ محمد الاسعد عنده احصائيات كاملة بأعمال هؤلاء وبحوثهم وأغاليطهم .

في الذهنية الغربية صورة هذه الأقطار وفق التصور التوراتي . والمفارقة أن هؤلاء الرحالة كانوا ينظرون إلى كل الأقطار العربية بمنظار التوراة حتى في القرن العشرين . لقد أصبحت تواريخ وجغرافيا وأجناس المنطقة وأصولها رهناً بما علمته التوراة للغرب بينما لم يكن هذا الكتاب بالنسبة لعمق المنطقة الحضاري غير قشرة على السّطح » .

وكمثل ما توجّهتْ به هذه الدراسة النقدية أولاً الأدبية ثانياً والثقافية ثالثاً إلى فتح الباب على مصراعيه للدوائر العلمية الإسلامية والآلاف المؤلّفة من جُنْدِ الحضارة الإسلامية – ومن غير ما معرفة بمقالة الأستاذ محمد الأسعد التي نُشرت للتوّ في مجلة العربي الشهرية ، يتوجه الأستاذ الباحث بالقول عن قِصّة (ايبلا) :

« إن هذه القصّة بكل ما رافقها من إثارة لم تتوقف بعد ، وهذا الفصل الذي وصفناه في السطور السّابقة ليس إلاّ جزءاً من الصراع الثقافي الذي تشهده المنطقة العربية ، وما زالت ألواح مملكة (ايبلا) وآلاف الألواح المكتشفة في المناطق العربية الأخرى ترقد في المتاحف صامتة بسبب قلة خبراء اللغات القديمة في العالم ، وبسبب الكمية الهائلة لهذه الألواح . ولا شك أنّ الوصول إلى فك رموز هذه الألواح وقراءتها بحاجة إلى سنوات طويلة » .

ويضيف الأستاذ محمد الأسعد قوله :

« إلاّ أننا رغم ذلك نستطيع إلقاء بعض الإشارات المهمة على طريق إعادة تركيب تاريخ حضارات المنطقة ، تلك الدلالات التي كشفت

عن جزء منها ألواح (ايبلا) : فلئن اتجه عدد من المختصين العرب إلى مواجهة الحملة اليهودية والتضليل التوراتي بدلاً من إخضاع محفوظات (ايبلا) للدرس في ضوء ما كشفت عنه بحوث الحضارات في (أوغاريت) و (مجدو) و (أريحا) و (بابل) و (أشور) و (سومر) و (حضرموت) فإن تصفية الحساب التي قام بها مؤتمر روما في عام ١٩٨١م ليست نهاية المطاف . وما زالت المهمة مطروحة على هؤلاء المختصين . وذلك أنّ مسارعة الأوساط التوراتية إلى مصادرة موضوع مثل موضوع (ايبلا) وإن كان يحمل في ثناياه طابع الهجوم إلاّ أنّه يحمل أيضاً « طابع الدفاع عن النفس » لأن من الملاحظ في ضوء المكتشفات الآثارية التي تمت حتى الآن ، إن العلماء بدأوا ينصرفون عن (التوراة) ويتخلون عن اعتبارها مرجعاً ذا قيمة تاريخية » .

ويعلق الأستاذ محمد الأسعد :

« بالإضافة إلى أن هذه المكتشفات بدأت تؤكد وبشكل متزايد أن ما في التوراة من تشريعات وقصص وآداب ونظرات دينية ليست خلقاً يهودياً . بل هي محفوظات جمع فيها كتبة التوراة نصوصاً من حضارات مختلفة ونسبوها إلى أنفسهم وإلى حكمائهم . وهذه الحضارات المعنية هي حضارة سومر وأكد وبابل وأشور وكنعان والحضارة الفرعونية . وهي في غالبيتها العظمى ذات إطار واحد لا صلة له باليهودية لأن هذه الحضارات نشأت وتكوّنت عبر بضعة آلاف من السنوات . وهذا يعني أنّ مصطلح (الحضارة اليهودية) أو (الحضارة العبرية) هو مجرد أكذوبة تداولها الباحثون الغربيون طيلة القرون الماضية بينما كانوا في

الحقيقة يتداولون منجزات تشريعية وأدبية ودينية لحضارات أخرى . وقد ظلت هذه الأكذوبة شائعة بفضل اندثار معالم هذه الحضارات القديمة والجهل بها » .

ويطالب الأستاذ محمد الأسعد بكسر هذا الطوق الحديدي الذي تواطأ اليهود وتلاميذهم من الغربيين على فرضه على حضارات الشرق العربي يقول :

« إذن فالباحثون العرب مطالبون بإعادة تركيب التاريخ ، وكتابة هذا التاريخ على ضوء علم الآثار واللغات وحقائق الجيولوجيا وعلوم المجتمعات البشرية ، بعد أن كشفت قضية (ايبلا) كيف أن المنطق التوراتي يضع دائماً الحصان وراء العربة ، فيجعل من السابق مقتبساً من اللاحق . أو يجعل للاحق وجوداً يسبق وجوده التاريخي . وخطورة هذا المنطق أنه لا يقتصر في هيمنته على دوائر محدودة بل يمتد إلى دائرة أوسع هي دائرة الثقافة العالمية المعاصرة » .

ويختتم الأستاذ محمد الأسعد مقالته قائلاً متسائلاً :

« ترى ما هي نتائج ترجمة الحروف المسمارية إلى الحروف العربية مباشرة ؟ وكم من الأسماء المتداولة سيتضح أنها أسماء مُحرَّفة ؟ وكم من الأحداث ودلالاتها سيعاد تركيبه ؟ وأية صورة ستضح لهذا الوطن العربي حين يكتب تاريخه القديم باللغة العربية لأوَّل مرة ؟ » .

وإذا كان هذا الكشفُ قد بان من خلال مملكة (ايبلا) وحدَها

وكان فيه مثل هذه الإشارة ؛ فما بال عشرات الأقوام والشعوب العربية الذين تحدَّث عنهم القرآنُ الكريم ، وفاضَ بذلك بيانُه ؟ ؟

وقبل أن أختتم هذه « النظرية » التي أرجو اللهَ أن تكون لبنةً في حَجَر الأساس لنهضة إسلامية عربية شاملة في كل مناحي الحياة الحضارية والثقافية أريد أن أدلّل على صحة ما توصَّل إليه الباحث الأستاذ محمد الأسعد من خلال تتبعه للمكتشفات الأثرية — من خلال منطق القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجُّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده ، أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجُّون فيما ليس لكم به علم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ﴾ آل عمران : ٦٥ — ٦٦ .

ثم يضيف الله تعالى قوله :

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مُسلماً وما كان من المشركين * إنَّ أولى النّاس بإبراهيم لَلّذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وَليُّ المؤمنين ﴾ آل عمران : ٦٦ — ٦٨ .

فانظر إلى طريقة اليهود في المغالطات . وإذا كانت اليهودية كدين حدثت في عهد موسى عليه السلام بعد إبراهيم عليه السلام بعهد سحيق ؛ فكيف يُحجّ المتقدّم بمنطق المتأخر ؟⁽¹⁾ ثم انظر كيف يجرّدهم الله

---

(١) انظر : كتابنا : فن الكتابة والتعبير . مكتبة الاقصى . عمان : ١٩٨١م.

تعالى من العقل ومن أنهم لا يعلمون من حقيقة هذه الحضارات شيئاً . ومع ذلك يطلع مؤرخ إنجليزي كبير الشهرة هو أرنولد توينبي ليقول :

« أما وقد عرف التاريخ على أنه سلسلة من الأحداث التي أدت إلى سيطرة الغرب ، فقد أصبح من الممكن تحديده بدقة . فالإسرائيليون القدامى وأحفادهم اليهود قد أسهموا ، ولا ريب ، في التاريخ على الأقل إلى سنة ٧٠ للميلاد . ذلك بأنّ تاريخهم كان مقدمة لتاريخ المسيحية – كاثوليكية وبروتستانتية على السواء ، وهذه هي دين الغرب . وإسهام أغارقة العصر الهليني في التاريخ كان كذلك لا ريب فيه . فالفلسفة الإغريقية المتحدرة من العصر الهليني كانت قد استخدمت في صياغة اللاهوت المسيحي . ولم يقتصر الأمر على الفلسفة ، بل ان ما كان عند الهلينيين من أدب وفنون مرئية وعمارة ، كانت منذ النهضة – مصدر وحي لثقافة الغرب الحديثة » .

ويضيف المؤرخ البريطاني « العتيد » :

« كانت اليهودية والهلينية المصدر الرئيسيين للحضارة الغربية »⁽¹⁾ .

وإذا كان « هذا » يتجاهل الحضارة الإسلامية وما قدّمته من علوم ومعارف وهي – أي الحضارة الإسلامية « بنت الأمس » ؛

---

(١) ارنولد توينبي : تاريخ البشرية . ترجمة د. نقولا زياده (الاهلية للنشر والتوزيع . بيروت ١٩٨١ م) ج ١ ص ١٠ . وهو يكرر هذه المغالطات في « نسيج » بحثه يقول : «ومجموعة هذا الادب اليهودي هي، بدون جدال ، أضخم مصادرنا واشهرها للتاريخ الديني والاجتماعي والسياسي لا ليهودا واسرائيل فحسب ، ولكن للمدنية السورية بكاملها » . ص ١٣٠

فكيف لا يتجاهل الحضارة العربية من لدن الخليقة وحتى فجرِ الدعوة الإسلامية ؟ إنَّ هذه الكبرياءَ الغربية بغير الحقّ والموضوعية آن لها أن تُقدعَ وأن تُجدَع وآن أن تعود « الحقوق » الحضاريةُ إلى أصحابها « الشرعيين » .

المصادر والمراجع

المصادر :

القرآن الكريم .

١ ــ ابن الأثير ، أبو الفتح ضياء الدين : المثل السائر (مطبعة الحلبي . القاهرة : ١٩٣٤ م) .

٢ ــ ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص : تحقيق محمد علي النجّار . ط ٢ دار الهدى بيروت » .

٣ ــ ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي :جمهرة أنساب العرب (دار المعارف بمصر : ١٩٦٢ م) .

٤ ــ ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي : الفصل في الملل والأهواء والنحل (مكتبة المثنى . بغداد) تصوير بالأوفست (بدون تاريخ).

٥ ــ ابن حيّان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف : البحر المحيط (مكتبة النصر الحديثة . الرياض . بدون تاريخ) .

٦ ــ ابن شهاب الزهري ، محمد بن مسلم : المغازي النبوية . تحقيق د . سهيل زكار (دار الفكر ــ دمشق : ١٩٨٠ م) .

٧ ــ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : أدب الكاتب . ط ١ . تحقيق محمد الدالي (مؤسسة الرسالة . بيروت : ١٩٨٢ م) .

٨ ــ ابن كثير القرشي ، إسماعيل : (مختصر تفسير ابن كثير : صنعة محمد علي الصابوني) دار القرآن الكريم . بيروت : ١٩٨١ م) .

٩ ــ ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وزميليه (دار الكنوز الأدبية . بيروت) (مصور بالأوفست) .

١٠ ــ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري . جـ ١ . ط ١ . ضبطه د . مصطفى ديب البُغا (دار القلم . بيروت : ١٩٨١ م) .

١١ ــ البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (دار الجيل ــ بيروت) (مصور بالأوفست) .

١٢ ــ التوحيدي ، أبو حيان : الإمتاع والمؤانسة . تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين (المكتبة العصرية . بيروت ــ صيدا) مصور عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة : ١٩٥٣ م) .

١٣ ــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين . تحقيق عبد السلام محمد هارون . جـ ٤ . ط ٤ (المجمع العلمي العربي الإسلامي . بيروت ــ بدون تاريخ) .

١٤ ــ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان (مطبعة الحلبي . القاهرة : ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ م) .

١٥ ــ الجمحي ، محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء . قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (مطبعة المدني . القاهرة : ١٩٧٤ م) .

٩٦ ــ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف بمصر : ١٩٦٢ م) .

١٧ ــ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تحقيق : محمود محمد شاكر (دار المعارف بمصر ١٣٧٤ م) .

١٨ ــ القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن (دار إحياء التراث العربي . بيروت : ١٩٦٦ م) .

١٩ ــ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر . ط ١ (دار الأندلس . بيروت : ١٩٦٥ م) .

٢٠ ــ اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن واضح : تاريخ اليعقوبي (دار صادر ــ بيروت . بدون تاريخ) .

٢١ ــ تنوير المقياس من تفسير ابن عباس (دار الكتب العلمية . بيروت بدون تاريخ) .

المراجع

١ — محمد خالد حسين : دين الناس كافة (مقتبسات من كتاب توماس أرنولد : الدعوة الإسلامية) (وزارة الأوقاف . عمان : ١٩٧٢ م) .

٢ — محمد علي أبو حمدة : الفكر الإسلامي وطرائق النقد الأدبي . ط ٢ (دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان : ١٩٨٣ م) .

٣ — محمد علي أبو حمدة : فن الكتابة والتعبير (مكتبة الأقصى . عمان : ١٩٨١ م) .

٤ — محمد علي أبو حمدة : من أساليب البيان في القرآن الكريم . ط ٢ . (مكتبة الرسالة الحديثة . عمان : ١٩٨٣ م) .

٥ — مجلة العربي الشهرية (الكويت عدد ٣٠٥ نيسان عام ١٩٨٤ م) .

المراجع المترجمة

١ – د. أنطون مورتكات : تاريخ الشرق الأدنى القديم . تعريب توفيق سليمان وزميليه (بدون دار النشر والسنة) .

٢ – أرنولد توينبي : تاريخ البشرية . تعريب . د. نقولا زيادة . ج ١ (الأهلية للنشر والتوزيع . بيروت : ١٩٨١ م) .

المراجع الأجنبية

Byron, Childe Harold's Pilgrimage and Other Romantic Poems, edited by John D. Jump (J. M. Dent , London : 1975) .

كتب مطبوعة للمؤلف

١ – أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطائيين . دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

٢ – النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري . دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .

٣ – الأمثال العامية الفلسطينية . ط ٢ . مكتبة المحتسب – عمان .

٤ – الفكر الإسلامي وطرائق النقد الأدبي . ط ٢ . دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان .

٥ – في ظلال الفكر الإسلامي – عمان . طبعتان . (نفد) .

٦ – نحو رؤية إسلامية . عمان (نفد) .

٧ – الطريق إلى الجامعة . عمان (نفد) .

٨ – في النقد الأدبي التطبيقي . عمان (نفد) .

٩ – ضفائر من تراثنا الشعبي . مطبعة شوقي ومكتبتها . عمان .

١٠ – من أساليب البيان في القرآن الكريم . ط ٢ . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

١١ – فن الكتابة والتعبير . مكتبة الأقصى . عمان .

١٢ – في التذوق الجمالي لـِ « بانت سعاد » لكعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . ط ٢ . مكتبة الأقصى . عمان .

١٣ – في التذوق الجمالي للاميّة العرب للشنفرى . مكتبة الأقصى . عمان.

١٤ – في التذوق الجمالي للآية القرآنية الكريمة : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . . . الآية) مكتبة الأقصى . عمان .

١٥ – المسجد الأقصى المبارك وما يتهدده من حفريات اليهود . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

١٦ – الداني في مهارات اللغة العربية . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

١٧ – مباحث في الهجمة اليهودية على الطابع الإسلامي لمدينة القدس . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

١٨ – في التذوق الجمالي للآيات العشر الأولى من سورة الإسراء . دار الفرقان للنشر والتوزيع . عمان .

١٩ – الأخطبوط الصهيوني رأي العين . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

٢٠ – في التذوق الجمالي لخطبة زياد ابن أبيه « الخطبة البتراء » . مكتبة الأقصى . عمان .

٢١ – في التذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطائي في فتح عمّورية (دراسة نقدية إبداعية) . دار الجيل – بيروت . مكتبة المحتسب . عمان .

٢٢ – في التذوق الجمالي لخطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حِجّة الوداع . مكتبة الرسالة الحديثة . عمان .

٢٣ – في التذوق الجمالي لِما اشتمل على ذِكْر « العربية واللسان العربي » من آي القرآن الكريم (استشفاف) حقيقة « النظرية »التي تفسر وضع اللغة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً » (دراسة نقدية إبداعية) . دار الجيل . بيروت . مكتبة المحتسب . عمان .